

روح المعاني

عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا فلم تر فهبطت حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزته ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا فلم تر ففعلت ذلك سبع مرات ولذلك سعى الناس بينهما سبعا فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت : صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضا فقالت : قد أسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه حتى ظهر الماء فجعلت تحرضه وتغرف منه في سقائها وهو يفور فشربت وأرضعت ولدها وقال لها الملك : لاتخافي الضيعة فان ههنا بيت الله تعالى يبنيه هذا الغلام وأبوه وان الله سبحانه لا يضيع أهله ثم أنه مرت مع رفقة من جرهم فرأوا طائرا عائفا فقالوا : لاطير الا على الماء فبعثوا رسولهم فنظر فاذا بالماء فأتاهم فقصدوه وأم اسماعيل عنده فقالوا : أشركينا في مائك نشرك في ألباننا ففعلت فلما أدرك اسماعيل عليه السلام زوجته امرأة منهم وتمام القصة في كتب السير .

بواد غير ذي زرع وهو وادي مكة شرفها الله تعالى ووصفه بذلك دون غير مزروع للمبالغة لأن المعنى ليس صالحا للزرع ونظيره قوله تعالى : قرآنا عربيا غير ذي عوج وكان ذلك لحجريته قال ابن عطية : وإنما لم يصفه عليه السلام بالخلو عن الماء مع انه حاله إذ ذاك لأنه كان علم ان الله تعالى لا يضيع اسمعيل عليه السلام واهمه في ذلك الوادي وانه سبحانه يرزقهما الماء فنظر عليه السلام النظر البعيد وقال أبو حيان بعد نقله وقد يقال : إن انتفاء كونه ذا زرع مستلزم لانتفاء الماء اذ لا يمكن أن يوجد زرع الا حيث الماء فنفى ما يتسبب عن الماء هو الزرع لانتفاء سببه وهو الماء اه وقال بعضهم : ان طلب الماء لم يكن مهما له عليه السلام لما أن الوادي مظنة السيول والمحتاج للماء يدخر منها ما يكفيه وكان المهم له طلب الثمرات فوصف ذلك بكونه غير صالح للزرع بيانا لكمال الافتقار الى المسؤول فتأمل .

عند بيتك المحرم طرف لأسكنت كقولك : صليت بمكة عند الركن وزعم أبو البقاء أنه صفة واد أو بدل منه واختار بعض الأجلة الاول اذ المقصود إظهار كون ذلك الاسكان مع فقدان مبادئه لمحض التقرب الى الله تعالى والالتجاء الى جواره الكريم كما ينبىء عنه التعرض لعنوان الحرمه المؤذن بعزة الملتجأ وعصمته عن المكاره فانهم قالوا : معنى كون البيت محرما ان الله تعالى حرم التعرض له والتهاون به أو أنه لم يزل ممنعا عزيزا يهابه الجبابرة في كل عصر أو لأنه منع الطوفان فلم يستول عليه ولذا سمي عتيقا على ما قيل 1 وأبعد من قال إنه سمي محرما لأن الزائرين يحرمون على انفسهم عند زيارته أشياء كانت حلالا عليهم وسماه عليه السلام بيتا باعتبار ما كان فانه كان مبنيا قبل وقيل : باعتبار ما سيكون بعد وهو ينزع

إلى اعتبار عنوان الحرمه كذلك .

ربنا ليقيموا الصلوة اي لأن يقيموا فلام جارة والفعل منصوب بأن مضمرة بعدها والجار والمجرور متعلق بأسكنت المذكور وتكرير النداء وتوسطه لاطهار كمال العناية باقامة الصلاة فانها عماد الدين ولذا خصها بالذكر من بين سائر شعائره والمعنى على ما يقتضيه كلام غير واحد على الحصر أي ما أسكنتهم بهذا الوادي البلقع الخالي من كل مرتفق ومرتزق الالقيموا الصلاة عند بيتك المحرم ويعمره بذكرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة التي شرفتها على البقاع مستسعين بجوارك الكريم متقربين اليك بالعكوف عند بيتك والطواف به والركوع والسجود حوله مستنزلين رحمتك التي آثرت بها سكان حرمك وهذا الحصر على ماذكروا مستفاد فانه عليه السلام لما قال : بواد غير ذي زرع نفي أن يكون